

مقدمة

حينما نبدأ هذه الرحلة الطيبة المباركة مع القلب فإن خير ما نتزود ونسترشد به فى رحلتنا هو ما ورد عن الصفات والخصائص الكامنة داخل هذا القلب فى:

- أشهد أن لا إله إلا الله - عزوجل - وأشهد أن سيدنا محمداً - عبد الله ورسوله.. أرسله بالهدى، ودين الحق، وجعله منارة منيرة، بل شمساً مضيئة للخلق أجمعين.

- وبعد.. فإن الله تعالى شرف العربية الفصحى مرتين، مرة حين ألهمها لعرب الشمال - إلهاماً^(١)، ومرة حين أنزل تعالى القرآن الكريم بكلام.. تماثل ألفاظ فى اللغة العربية -ألفاظه. وهذا يعنى أن القرآن لم ينزل باللغة العربية لأن القرآن كلام الله، وكلام الله قديم. أما اللغة العربية فحادثه ولا ينزل القديم بالحادث^(٢). وقد كانت إلهاماً لأن أى لغة بشرية.. لا يمكن أن تحمل معانى القرآن، لأن القرآن.. فيه جمال وجلال، وفيه روح، وحوله هالة من نور.. لا تستطيع تأديتها لغات البشر. ولأن لغات البشر متحولة، ولو كانت الفصحى متحولة..

(١) كتبت ثلاثة بحوث فى مجلة (هدى الإسلام) - الأردنية.. دلت فيها على أن العربية - إلهام - من الله تعالى. وهى الأعداد (٥، ٦، ٧) لعام ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م وأوردت هذه البحوث، فى كتابي: (العربية الفصحى) - مروتها، وعقلانيتها، وأسباب خلودها، ٧٥ - ١٠٣.

(٢) انظر: كتابي السابق - مبحث: أحقاً - أن القرآن أنزل باللغة العربية؟

لترجم القرآن إلى كل صورة متحولة. وعندئذ.. لا يعود قرآنًا، لأنه يفقد بعض مزاياه التي أوردناها في السبب السابق، ويعتريه ما يعتري ما يترجمه أو يؤلفه البشر من خطأ، وقصور. وليس معنى خلودها أن القرآن نزل بها بل خلدت لكي يفسر بها كلام القرآن - لم ينزل القرآن بها، على ما أسلفنا.

- وقد جد علماء مسلمون، منذ منتصف القرن الهجرى الأول، بدءوا جمع اللغة، فجمعوها من لغة سبع قبائل فقط، لأنها هي اللغات التي نزل القرآن، وألفاظ من كل منها يماثل ألفاظًا في القرآن. فكان جمعهم للغة هادفًا، وهو الحفاظ على اللغة التي يفسر بها كلام القرآن، للحفاظ على القرآن، غصًا طريًا.

- بيّد أن ابن خلدون - رحمه الله تعالى - لم يكن مما قام في نفسه - الاهتمام بالحفاظ على هذه اللغة خلافًا لاهتمام القدامى - لأن ابن خلدون لم يكن مفكرًا «إسلاميًا» بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة؛ فلم يكن همه، في كل ما كتب أن يمهد الطريق للإسلام، ليصل إلى قلوب الناس، وإنما كان اهتمامه أن يذكر الحقيقة المجردة. مع أن كل الحقائق لا تخالف الإسلام العظيم. أما الوقائع.. فبعضها يخالف الإسلام، فليس كل الوقائع.. حقًا، بل ما أكثر الوقائع التي يفعلها البشر، وهي مداورة للحق، وقد تكون مناهضة للحق.

باحث محايد:

- وإنما الرجل كان أقرب إلى الباحث «المحايد» الذي لا يدرس الأشياء في ضوء «مرجعيات»، ولا ليصل بينها وبين مرجعيات-!،

وإنما كان باحثًا ينظر إلى الأشياء في ذاتها، مستقرًا، واصفًا، محللاً، معللاً، ومن هنا فقد كان فاقداً «لمؤشر» الاتجاهات في مجلد (مقدمته) هذا المؤشر الذى يصل به إلى بر الأمان بر الإسلام العظيم. ولعل هذا هو السبب الذى جعل الغربيين يهتمون بدراسته، ويؤهون بعبقريته، كما كان موقفهم من المتفلسف ابن رشد، لأنه (أعنى: ابن رشد) قد غلب الحكمة على الشريعة، أى غلب الفلسفة على الدين الإسلامى.

- ولهذا.. جاءت بعض آرائه (أعنى ابن خلدون) فى اللغة.. غير صحيحة، ولكن جاءت له نظرات أخرى صائبة، وقال آراءً ثالثة سبق بها اللغوى الغربى تشومسكى بزئيد على خمسة قرون.

- وكما كان لابن خلدون.. آراء فى اللغة.. سبق بها تشو فقد كان لناقد ولغوى كبير آخر آراء سبق بها تشو بثمانية قرون، هو الإمام عبد القاهر الجرجانى، وكل ذلك.. وارد عنه قول فى البحث.

- والحق أننا أمة.. فقدت الإبداع منذ القرن الرابع الهجرى، إلا من منارات قليلة هنا وهناك تجاهد لتمحو الظلمة، ولكن.. هيهات! من هذه المنارات هاذان العلمان الكبيران السابقان - الإمام الجرجانى، وابن خلدون.. فقدت الإبداع لأنها فقدت التفكير، والتدبير، والتفهم، وفقدت القدرة على الشك، والنقد، ولأنها فقدت القدرة على «التحليل».. إلا من رحم ربك، وهم قلة بالقياس إلى حضارة تمتد على مدى خمسة عشر قرنًا، دون انقطاع. إن ندرة العقول المبدعة فى تاريخ الإسلام.. لشيء يصعق الجنان، ويدل على بؤس فى التفكير والبرهان.

- وبسبب هذا.. فقد قبل العلماء كل الروايات تقريباً التي وردت فى سيرة ابن هشام، عن رسولنا العظيم - صلى الله عليه وسلم - وفى العهد المكى خاصة، وبعضها كاذب^(١) وقبلوا طامات من الأخبار فى التاريخ. - وبسبب هذا - أيضاً فلم يخطر ببالهم أن يناقشوا مفكراً كبيراً كابن خلدون، وكأنّ المفكر.. نبى معصوم. ولهذا.. عللوا لعدم استفادة الأجيال من (مقدمته) بتعليقات لا تدل على وجهة نظر، ولا بعد عن الغرر. - .. وبسبب هذا - أيضاً - فقد انسخنا أمام ما يأتينا من «الغرب» فما يقوله علماء الغرب، سواء أكانوا من الدرجة الأولى كهذا اللغوى - تشو - (الذى ننظر فى آرائه) أم كانوا من علماء الدرجة الثانية، بل والثالثة، (كعموم المستشرقين - رضى الله عنهم-، أو سخط الله عليهم، بقدر إساءتهم لحضارة هذه الأمة) هو - عندنا - الحق المبين، والصدق الرصين!

الانسخاط أمام تشو:

.. ومما يصرخ بهذا الانسخاط أن المرء لا يقرأ كتاباً، ولا بحثاً، ولا نشرة، فى اللغة أو النحو، لباحث عربى معاصر، جاء بعد تشو إلا وهو يحشر اسمه حشراً فى بحثه، ويحشر معه بعض مصطلحاته - كمصطلح النحو التوليدى، والنحو التحويلي، والقدرة اللغوية، والأداء اللغوى، والفطرية فى اللغة، والشمولية. والرجل تشو على أنه فصل كثيراً.. لم يأت بجديد-!، فكل ما قدمه من أفكار صحيحة حول اللغة.. فقد وردت عند العالمين الكبيرين السابق ذكرهما، والسابقين،

(١) لى كتاب أو شك على الانتهاء منه، عنوانه: [العصمتان] بينت فيه كل الأخطاء والأكاذيب، فى سيرة الرسول المصطفى، فى العهد المكى.

بقرون متطاولة، على هذا الباحث الغربي الجادّ. ولولا أن الغرب.. يدير ظهره لكل ما يأتي من المسلمين، فلا يقرأ ما كتبوا، وما يكتبون، لما عكف على دراسة هذا الباحث الجاد - وَحْدَهُ، ولأضاف إليه ترجمة لكتابيّ علميّ الإسلام السابقين.

علماء الغرب يضلون:

- ومما يدل على أن علماء الغرب يضلون - أحياناً، وخاصة في مجال الفكر.. أن اعتبار - تشو - الجمل نوعين: توليدية (وهي الأصل)، وتحويلية (وهي الفرع).. إنما هو قول مغلوط لا «يعنى» طبيعة -توالد - الجمل عند الناس، ولا سيما الأدباء، وقد بينت، خلال البحث، غلط مصطلحيه هاذين. إن نظره هو نظر -عالم - يحدق في الجمل على الورق، أو بعد أن تصبح أصواتاً مسموعة، وليس نظر - فيلسوف - أو - ناقد - ينظر إلى الحافز، في ذات الإنسان - عامة - وذات الأديب، خاصة - الحافز الذي أدى - بدءاً - إلى اختلاف ترتيب نفس الكلمات ما بين متكلم وآخر، أو ما بين أديب منتج للأدب. وبين عالم يعبر عن علمه باللغة، فتختلف التعبيرات - بدءاً - لا - تحويلاً.

حاجة العرب إلى التفكير والتفكير:

- إن العرب (والمسلمين جميعاً) في حاجة إلى أن يتفكروا، وأن يشكوا، وأن ينتقدوا، وأن يحلّلوا)... ليتجاوزوا ما في الماضي من كذب وأخطاء - وليحدقوا فيما يأتيهم من الغرب، فليس كل ناعق في الغرب ذا صوت مطرب، ولا كل من سوّد صفحات منهم عالم أو مفكر.. مجرب. بل - كثير منهم.. فكره هزيل، وسلوكه باطل وللحق يزيل.

- وهذه الصفحات.. لعلها هي الصفحات العربية، والإسلامية التي «حاولت» أن تضع ابن خلدون - رحمه الله تعالى - في موضعه الطبيعي - ولا سيما في آرائه في اللغة وفي - حياديته - حيال ما يناقش، وفي فقهه لمرجعية تجعل لفكره هدفاً قيماً، وآرائه.. دافعاً إصلاحياً.

لقد قسما البحث قسمين:

القسم الأول... بيئنا بعض الآراء غير السديدة لابن خلدون، في اللغة، وفي مجالات أخرى. وكان أن عرضنا للمجالات الأخرى على نحو مختصر، عنده: عندما كانت خارج ميدان اللغة، وعلى نحو أوسع، فيما كان في ميدان اللغة.

- والقسم الثاني.. جعلناه تحت عنوانين: الأول - آراء صائبة في اللغة لابن خلدون، والثاني - مقارنة موجزة بين آراء ابن خلدون، والإمام الجرجاني - وبين آراء هذا العالم اللغوي الغربي الدكتور - تشو مسكى - وقد ظهر، من خلال الدراسة أن هاذين العالمين العربيين.. قد سبقا - تشو - إلى ما أتى به من أفكار في اللغة. وجُلَّ جهده.. انحصر في تفصيل هذه الآراء، ليس أكثر. ولا نظن أنه أطلع على ما كتبنا، بل هو اجتهاده الشخصي، لأن علماء الغرب لا يعتقدون أن علماء العرب.. جاؤوا بشيء يذكر في فقه اللغة، أو فلسفة اللغة.

- وقد اعتمدت في بحثي منهج التحليل والتدليل والتعليل، والمقارنة، والمفارقة، والشك والنقد. كل ذلك.. من خلال اطراح التسليم بما كان، وعرضه على التفكير (وليس الاكتفاء بالتفكير)، وعلى التفهم وليس الاكتفاء بالفهم، معملاً ملكتي (الشك - النقد)، والتحليل.

- والله تعالى أسأل أن أكون قد وُفِّتْ، لأنى إلى الحق دون غيره
- توجهت، وهو وَحْدَهُ تعالى غفار الذنوب، ومُفْرَج عن عباده الصالحين
الكروب.

والله تعالى المستعان، وعليه التوكل، ومنه الفضل والإحسان.

ص.ب عمان / مرج الحمام / مكتبة (أم القرى).

- هـ = ٠٧٨٥٥٤٢٠٦٩

المؤلف

د. عودة الله منيع القيسى

1 - Email= Proflllll@hotmail.com

2 - = Dr.awdat-allah-peisy@hotmail.com

obeikandi.com

تمهيد

لمحة عن فكر ابن خلدون

هو عبد الرحمن ابن^(١) محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨). وهو تونسي المولد. ولكنه تنقل، في كل شمال إفريقيا، وفي الأندلس، وزار مكة المكرمة حاجاً، ثم وضع عصا الترحال في مِصْرَ. فاشتغل فيها بالتدريس والقضاء كما كان قد اشتغل بالسياسة، وهو في شمال إفريقيا، ولكنه لا يخلو من (انتهازية) في السياسة التي تخلى عنها، أو تخلت عنه - بعد أن استقرّ في مِصْرَ.

وابن خلدون كان منارة ساطعة، في مجال الفكر، في عصر انحط فيه الفكر والنظر، وغلب فيه التقليد. وكان جُلُّ جهد علماء هذا العصر الذي عاش فيه ابن خلدون بل جل جهود العلماء، بعد القرن الرابع حتى نهاية القرن الثالث عَشَرَ الهجري.. هو الجمع والتصنيف، والشروح، والحواشي والتعليقات. لما سبق، وجمع الغث فيه إلى جانب السمين، من غير شك، ولا نقد، ولا تمحيص، ولذا.. كان طابع هذه العصور «التبرير» لكل ما تركه الأسلاف، في القرون الأربعة الأولى - الزاهرة. وغابت - تحت وطأة هذا المنهج - حتمية

(١) (ابن) اكتبتها، أينما وردت، مبدوءةً بألف. لأن القدامى كانوا يحذون الألف، في حالات، لبُطْه الكتابة اليدوية - ولشَحْ أدوات الكتابة. ولأنه قد - زال هذان السببان، فلم يعد لحذف الألف من مبرر.

(الأسباب والمسببات) التي وضعها الله تعالى في الأشياء، وأن الكون كله يقوم على (قوانين) ثابتة، تنبثق عنها الأسباب والمسببات. فلا يتم شيء إلا على قانون، وبأسباب... إلا أن يكون «لطف» من الله تعالى يأتي من مشيئته - الخاصة. هذا اللطف الذي ورد في القرآن الكريم - تعبيراً عنه مراراً. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، فإجابة المضطر وكشف سوء يأتيان بأمر الله تعالى، عندما يريد أن يلطف بأحد من عباده أو بجماعة من الجماعات. لأن الله تعالى ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦].

ولأنهم نسوا منهج الشك، والنقد، والأسباب.. فقد قبلوا «طامات» وخرافيات وغرائبيات، وإسرائيليات يردها النظر العقلي المتبصر، قبلوها.. في التاريخ. والأخبار والحكايات، وفي ما أورده ابن إسحاق، ثم ابن هشام - رحمهما الله تعالى - في سيرة رسولنا العظيم، بل قبلوها في الأحاديث، فكان كثير من الأحاديث قد اعترأها الوضع^(١). وفي هذا الظلام نُصِبَتْ منارة هي ابن خلدون - رحمه الله تعالى - (والحق.. أنه كان إلى جانبه، وبطول قامته، ولكن في مجال «الفقه» علمان كبيران، ومنارتان ساطعتان، هما: أحمد ابن تيمية (ت ٧٢٨) وتلميذه ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١). وهما في المشرق. وَعَلَّمَ ثالث يوازيه - وهو: الشاطبي (ت ٧٧٩) - رحمه الله - وهو من الأندلس، من مدينة شاطبة.

(١) في كتاب لي مخطوط، مكون من خمسة أجزاء، درست سيرة الرسول المعصوم، وبينت - بالدليل - أن - مئة بالمئة (١٠٠٪) من أخبار العهد الملكي، حول إضرار قریش بالرسول غير صحيح؛ لأن أسانيد هذه الأخبار ضعيفة، أو غير كاملة (= ناقصة)، ولأنها - لا تتفق مع القرآن المجيد.

١ - منهج ابن خلدون:

- يقوم منهج ابن خلدون على الاستقراء، للواقع الراهن في أيامه، والواقع التاريخي وعلى الوصف، والتحليل والاستنتاج - والتعليل - والأخذ بالأسباب). وهذا.. منهج افتقدناه، منذ نهاية القرن الرابع الهجري. حاشا الإمام أبا حامد الغزالي (ت ٥٠٥) وهو المنهج الصواب، في النظر إلى الأمور، ووضعها في واقعها الصحيح، وصورتها الصادقة. وبعده المتفلسف ابن رشد (ت ٥٩٥) وهو أندلسي ولكن غلب الحكمة (الفلسفة) على الشريعة (الدين).

٢ - لم يطبق منهجه هذا على تاريخه:

- بيّد أن ابن خلدون.. لم يطبق هذا المنهج الذى اتبعه فى (مقدمته) وهى مقدمة تاريخه: (العبر...) فلم يلتزمه فى (تاريخه) هذا. بل أورد فيه أخباراً لا تصدق، نقلها عن المؤرخين السابقين، دون شك، وتمحيص. - وهذا.. أمر يمكن «تفهمه»، لأن التنظير أسهل من التطبيق، كثيراً أما ترى الفلاسفة ينظرون للأدب، أو الفن عامة، ولكنهم لا يستطيعون النقد «العيني»^(١) للأدب والفن. وحتى أرسطو اليونانى لم يقدم نقداً عينياً للشعر، فى كتابه (فن الشعر) وإنما قدم تنظيراً عما يجدر أن يكون عليه الشعر المسرحى خاصة.

وسبب ذلك.. أن التنظير فكر بحت، والفكر.. تصور عقلى

(١) النقد العيني هو - عكس النقد (التعميمي)، فهو يقوم على التحديق فى الكلمة فى جملتها، والجملة فى سياقها، أو فى فقرتها، والسياق فى جزء من النص، والجزء فى باب من أبواب النص، والباب.. من خلال النص كله، ولكن أساسه هو التحقيق فى الكلمة، والجملة، والفقرة.

موحد (غير مركب) وغير ذي مرجعية، أما ترى أن أدنى المثقفين.. يستوعب نظريات الفلاسفة؟.. أما التطبيق.. فهو تصور مُركَّب ذلك لأنه لا يقتصر على العقل وَحْدَهُ وإنما يضاف إليه، ويندمج به ذوق الناقد، ووجدانه وعاطفته وشعوره. وهذه الوجدانيات.. ليست نامية، عند الفلاسفة، بقدر نمو العقل عندهم. هذا التقسيم، أو التنويع بين العقل والوجدانيات.. شيء فطري خَلَقِي، فالإنسان لا يملك تغييره، وإن كان يملك تحسينه بعض الشيء عن طريق الممارسة والدراسة؟ هذا.. فضلاً عن إلمام بعلم النفس البشرية، وثقافة المجتمعات، وبعض مبادئ العلوم، وبمعرفة بالتاريخ.

— هكذا.. في الأدب، وهكذا.. في التاريخ، والأخبار.. وهكذا.. في كل ميدان.

— وفي نقد الأدب.. لا بد من الإلمام بجملته علوم، لكي يكون الناقد ناقدًا حاذقًا، من ذلك.. معرفة بفقهِ اللغة، واستعمالاتها، وقدرة في الملكة اللغوية ذاتها، ومعرفة بالنحو، والبلاغة، ومبادئ النقد، ومعرفة بالفطرة البشرية، وطبائع الاجتماع، ومعرفة بالعلاقة المحكمة بين مختلف عناصر الكون.

— وفي مجال النقد التاريخي.. لا بد من الإلمام باتجاه حركة التاريخ، في الحقبة التي يدرسها الناقد، ومعرفة بطبيعة النفس البشرية، وقوانين الاجتماع، بل — وقوانين الكون، ومعرفة بأنماط الشخصيات الإنسانية — الأربعة. ومعرفة بمحور كل شخصية (أو محور كل نمط) تدور حوله، قد تخرج عنه قليلاً، وليس خروجًا بعيداً، ولكنها — غالباً — لا تغادر هذا المحور.

٣ - طبيعة نظريات ابن خلدون:

ابن خلدون.. عن طريق منهجه العلمى السابق - استطاع أن يضع نظريات، فى السياسة، والاجتماع، والاقتصاد وأن يقدم نظرات فى اللغة، وفى الأدب.. بَيِّدَ أنه لم يكن مفكراً «طليعيًا» كما يقال فى هذه الأيام. أعنى أن نظرياته كانت استخلاصًا من الواقع والتاريخ - الإسلامى، من غير أن يطور أى نظرية لتستشرف المستقبل. أى لم يستطع أن يستشرف المستقبل، عندما قرر أن الدول لا تقوم إلا على «عصبية»^(١)، مع أن الدول فيما بعد صارت تقوم على وحدة فكرية أو أيديولوجية، أو على نظم حزبية، أو على تجمع تؤلف بين عناصره، وفئاته -المصلحة، أو الأهداف المشتركة.

- ولعل من أسباب عدم استشرافه المستقبل.. أنه كان مفكراً واقعياً ومحايِداً، حتى العظم كما يقال. صرفته رؤيته الواقعية المحايدة عن استشراف المستقبل وبالمقابل، صرفته عن ربط نظرياته بأصولها العقائدية^(٢).

مثلاً.. العلماء الأوائل الذين جمعوا اللغة ما بين النصف الثانى

(١) انظر: على عبد الواحد وافى - الظواهر الاجتماعية فى موضوع مقدمة ابن خلدون، ٤٥، القاهرة، منشورات المركز القومى، ١٩٦٢.

(٢) انظر: الدكتور زينب محمود الخضيرى، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ٢٦، بيروت، دار التنوير، ١٩٨٢م، تقول الباحثة: (أول من درس الظواهر الاجتماعية، فى حد ذاتها، لا لبيان ما ينبغى أن تكون عليه)، ٧٩. أقول: للأمانة العلمية.. لقد توصلت إلى مثل رأى على عبد الواحد، وإلى مثل رأى زينب محمد، من تدبرى للمقدمة، وقبل أن أقرأ أى بحث يتناول المقدمة فابن خلدون - كما قال - هو باحث محايد، يدرس الظواهر لذاتها، لا لغاية وراءها.

من القرن الأول الهجرى، ومنتصف القرن الثالث.. قيدوا جمع اللغة بالقبائل السبع التى نزل القرآن الكريم وفيها ألفاظ كألفاظه، لأنهم لم ينظروا إلى اللغة نظرة محايدة، وإنما نظروا إليها على أنها لغة القرآن^(١) فجمعوا منها ما يحفظ بقاء القرآن، حياً طرياً، مقروءاً بلغته^(٢).

أما ابن خلدون.. فلم يقيد اللغة بأصل، وإنما قبل - العاميات - فى المدن والأرياف - كما قبل الفصحى (أو لغة مضر - كما يقول) ولو كان يقيد اللغة بأصلها الدينى (الأصل الذى جمعها العلماء من أجله) لما تقبل العاميات، ورأى أنها لها بلاغتها، وأنها يمكن أن يُستغنى بها عن الفصحى (= لغة مضر) مع بعض التعديلات، وقيام بعض الهيئات فيها التى تجعلها - كما يرى - «مُغْنِيَةً» عن الفصحى - لغة مضر - لو كان يقيد اللغة بأصلها الدينى لكان يدعو إلى الاهتمام بالفصحى، وإبعاد العاميات.. لأن الفصحى لغة يُفهم بها القرآن الكريم أو فيها ألفاظ كألفاظ القرآن الكريم.

- ومثل آخر.. لا يقل عن هذا فى عدم تقييد رؤيته - بأصل - ترجع إليه.. حديثه عن (الطب) عند الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - فقد

(١) انظر: رأى فى أن العربية ليست لغة القرآن. لأن القرآن قديم، والعربية حادثة - لأنه كلام الله، وكلام الله صفته، وصيغاته قديمة، كل ما فى الأمر أن فى العربية ألفاظاً تماثل ألفاظ القرآن. على اختلاف بينهما فى - السبك. فى كتابي: [العربية الفصحى].. عمان/ دار البداية - ٢٠٠٨م.

(٢) - صحيح أنهم - على جهودهم المشكورة - أخطأوا فى جمع كل ما وصل إليهم مما نطقت به القبائل السبعة، لأن بعض ما نطقت به بعضها خارج عن حدود الفصحى (وبعضه ألفه - كذباً - الأعراب أو النحاة) أريك النحو وعقده، وحمل النحاة على كثير من التكلفات والتعليقات الشكلية. (نظ: كتابي - رؤى نحوية وصفية تجديدية - ج٢).

كان رأيه أن الطب النبوي كان من الطب الذى كان معروفاً عند العرب ، فى زمانه -صلى الله عليه وسلم - ومع أن ذلك صحيح إلى حد ما ، فمعظم الطب النبوي - (ما عدا ما كان يرقى به - صلى الله عليه وسلم - من القرآن الكريم ، أو من دعائه الشريف) - قد كان معظمه مما تعارف الناس عليه فى زمانه من الوصفات العلاجية - بيّد أن ابن خلدون لم يفرق بين القدرة الشفائية فى الوصفة التى يشير بها الرسول الكريم ، وفى الوصفة نفسها ، عندما يشير بها غيره ، فالوصفة ذاتها شافية - بإذن الله تعالى - عندما يشير بها الرسول الكريم ، أو - غير ضارة - على الأقل ، أما... عندما يشير بها غيره ، فقد تشفى ، وقد لا تشفى ، وقد لا تضر ، وقد تضر .

لماذا؟

- السبب أن الرسول -صلى الله عليه وسلم - مهدى من ربه .
أما قال الله تعالى: ﴿وَأَتَوْا اللَّهَ وَعِلْمُكُمْ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].
والرسول -صلى الله عليه وسلم - رأس المتقين ؛ بل إمامهم فالله تعالى «يعلمه» ولهذا.. فالرسول الكريم ، لا يقبل العقل - المتصل بالعقيدة (أى - متصل بالعقل الكلى ، والمتمثل بالقرآن الكريم)^(١) - أنه -صلى الله عليه وسلم - يصف دواءً لشخص^(٢) يؤدى إلى هلاكه ، وإلا.. فلن يصف

(١) انظر: مبحث: (تأصيل - للعلاقة بين العقل الكلى -والعقل الجزئى) ففيه تفصيل لهذا الموضوع - موجود فى الجزء الأول ، من الفصل الأول ، من كتابى (العصمتان) معدّ للطبع .

(٢) كلما وردت الهمزة بعد الألف فى آخر الكلمة منونة تنوين النصب أوردت بعدها (ألماً) وجعلت التنوين عليه ، سواءً أكان الذى يسبق الهمزة ثالثاً أو رابعاً وأكثر ، تقول: (بناءً) على ذلك ، ونقول كذلك: (استفتاءً) على ذلك . فلا فرق فى الحقيقة بين الكلمة الأولى والثانية إلا أن الأولى ثلاثية والثانية سداسية ، لأن النصب واحد فى =

الرسول دواءً لأي شخص، لأنه، لو لم يكن مُعلِّماً من الله تعالى.. فحاشاه أن يغامر بوصف دواء قد يؤدي إلى هلاك المريض، لأن الرسول المهدي من ربه، في مثل هذا الأمر الخطير الخطير لا يعقل أن يبني وصفته الطبية على الاحتمال أما غيره من الأطباء، في القديم، وفي الحديث - فمعظم طبه، ووصفاته الدوائية مبنية على الاحتمال، فقد تنفع كثيراً، ولكن قد تضر، أحياناً.

وكل ذلك بتعليم - من الله تعالى، لرسوله - صلى الله عليه وسلم - والله تعالى أعلم.

هل نعمه وصفات الرسول؟

وهذا.. يعنى، أن الدواء الذى وصفه الرسول -المعلم - لمريض، لا يصح أن نصفه نحن لكل من أصيب بالمرض نفسه الذى أصيب به من وصف له الرسول الكريم هذا الدواء. وإنما لابد من معرفة حالة المريض من قبل طبيب مختص، يعتمد على الفحوص والمختبرات، في تشخيص المرض، وما قد يرافقه من أمراض أخرى، قد لا يصلح - بسببها - هذا الدواء لهذا المريض، لما قد ينتج عن استعماله من مضاعفات. إلا... إذا أعطى الرسول -صلى الله عليه وسلم - الوصفة صفة العموم.

=الحالتين، فكما نقول: (سماعاً)، ونقول: (استرجاعاً) فنقول (استدعاءً)، فلماذا الفرق بين الكلمة التى يرد فيها الألف ثالثاً وبعده همزة وبين الألف عندما يرد رابعاً أو خامساً أو سادساً، وبعده همزة، ونحن لا نفرق بينه، ثالثاً كان أو أكثر عندما يأتي بعده حرف صحيح؟ لا فرق جديراً بالاعتبار لكى نجعل من أجله قاعدة إضافية. فضلاً عن هذا.. والهمزة هى حرف صحيح، ومخرجها من الحلق -كمخرج- العين - ونحن نقول: استرجاعاً - فنجعل بعد العين ألفاً منونة بتنوين الفتح، والهمزة أخت العين، فيجدر أن تُعامل معاملةً.